
بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديـم

بقلم : عبد الله محمد الشهيل

قبل مايزيد على النصف قرن، عندما كان الاستاذ / عبد الوهاب ابراهيم الآشي في عنفوان شبابه، وقمة تحمسه وحيويته، كانت البلاد قد ضمدت جراحها الذي سببته الحروب الطويلة نتيجةً للفرقة التي عاشتها مضطربة الأحوال، معزولةً لاتكاد تعرف من وسائل التنوير شيئاً إلا بعد أن تم التوحيد وأجتمع الشمل.

هذا الخلل الذي عانته بلادنا في تاريخها الحديث والمعاصر، أفرز سلبياتٍ خطيرةً تمثلت في قلة العطاءآت الثقافية، والإنحسار بدائرة ضيقةٍ لاتسمح بالتحرك، فظلت المفاهيم محكومة بالمألوف وعدم تقبل الجديد، فتأخر مسار التغيير خوفاً من الإنزلاق في منحدراتٍ تسلب القيم وتقضي على المثل المتوارثة.

المهم، أنها عاشت حيرةً في ظل ظروف صعبة بعد ذلك مدةً، والعالم يكتوى بنار حربٍ عظمى، تلاحقت طوال نشوبها أزمات ضاقت بها أكثر دول العالم ثراءً، فما بالك بدولةٍ فتية شحت مواردها وغابت معطيات أهلها بسبب عوامل تاريخية في غاية السوء شهدتها جزيرتنا العربية منذ إنتقال عاصمة الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى دمشق، حيث قامت صراعات علوية أُموية، وزبيرية أموية وأموية عباسية أدت في النهاية إلى تمزيق حضارتنا العربية الإسلامية.

هذه الصراعات أثرت إلى حدٍ بعيدٍ بحياتنا الثقافية، لاسيما بعد أن تسلط الشعوبيون، فأنتشرت الأمية، وتفشت العامية، وكان نصيب جزيرتنا من الأمية أوفر من غيرها، ولعل عزلتها، وبقاءها على عفويتها ساعد أبناءها على الإحتفاظ بشيءٍ من الفصاحة، ولكنها فصاحة قلقة لم تخلف إيجابيات فعالة إلا بعد أن فطن مثقفونا بأن مبعث عطائها مصدره إستعمالها وسيلة لمعالجة قضايا العصر وإنجازاته إلى جانب مهمتها الأساسية كعنوان لشخصيتنا العربية بعدما تعرفوا للمؤمرات التي حكيت ضد لغتنا، ومحاولات طمسها وتغريبها،والنيل من أصالتها التي مكنتها من القلوب والعقول، فتشكل بها رغم كل سلبيات الناطقين بها، تراث حضاري؛ لأن إيجابية الإنسان العربي حتي في أقصى حالات تخلفه الكامنة في عدم إستسلامه لغيرها، حماية لدينه ودنياه، فتهيأت بذلك الأجواء لقيام حركةٍ كافحت ونشطت بعدما تنور أعضاؤها بالمدينة الحديثة، فطعَّموا الفكر العربي بعطاءالفكر العالمي في مصر وبلاد الشام والعراق(١)، وهؤلاء هم جيل الرواد الذين أضافوا للأدب العربي روحاً عصريةً، ودوافع وطنية دون الخروج به عن أصالته، فعبروا عن عصرهم من خلال تراثية غير مسرفةٍ، فكانوا خير شاهدٍ على قضايا عصرهم(٢)، فتولدت من ذلك آفاق جديدة في الثقافة العربية، أنطبعت في الأذهان، وأستهدفت صيتاً عالمياً من خلال معالجات محلية، تظهر الواقع ليكون سجلًا لشرائح الحياة.

وهكذا نجد أن الأدب من أهم أهدافه إنعاش المجتمعات والنهوض بالأمم، وأنه عند بلوغه مرتبة الإمتياز سواء بالشعر أو النثر، حيث

(١) أنيس المقدسي ، الإتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ص ١٠٣.

(٢) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص ١٠٣.

تتوافر فيه العناصر الفنية والجمالية التي تلهم القرائح وتنبعث من الذوق الرفيع والعاطفة الصادقة والتعلق بالحقيقة وعدم إتباع أهواء النفوس(١)، سيساعدنا على حفظ إحساسنا عندما نشعر بقيمته المساعدة على التشكيل والتغيير؛ لكونه تعبيراً عن الحياة، ومرآة صادقة للواقع؛ لأننا بهذا الإحساس ندرك النبض فيه(٢)، ونفهم ماهيته التي تعطي حياتنا بعداً إيجابياً، فتتكشف بالتالي لنا فعالياته(٣)؛ وذلك حين نتحرر في كتابة الأدب من المذهبية الضيقة متحررين من الإطارات التي قد تخرجنا من الحكم الصحيح على الواقع، فتتبعثر نتيجةً لذلك إتجاهاتنا بين عددٍ من المفاهيم المتناقضة عند عددٍ من الأنماط المنتجة والقارئة، ومن هنا تنبع الأزمة الحقيقية في حياتنا الأدبية(٤)، مالم نتخذه وسيلةً للتنوير والإتصال الإنساني، وإكتساب خبرات وتجارب الحياة، والتعبير عن الذات بشتى أنواعه وأشكاله(٥).

هذا ماأدركه رواد أدبنا السعودي الحديث في شبابهم، بعيداً عن الشعور بالكبر الطفولي الذي أستحكم بمعظم أدبائنا الشباب اليوم، حين كان الأدب مدار الأحاديث في مجالسهم ومنتدياتهم مجرداً من الأغراض، فأدركوا أن في إزدهاره إنعاشاً للأمة وإصلاحاً لحالها، وأنه

---

(١) شكري عياد، تجارب في الأدب والنقد، ص ٦٤.

(٢) عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، ص ٣١–٣٢.

(٣) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس ومنير بعلبكي، جـ١ /٣١.

(٤) أنور المعداوي، كلمات في الأدب، ص ١٦٨.

(٥) Encylopedia Americana, V17, P. 559.

دعوة لمكارم الأخلاق [1] والعمران[2] رغم إقتصار البلد في زمانهم لمقومات النهضة الفكرية والبناء الحضاري، ولكنهم بالهمم الجبارة، والإصرار المصحوب بالإيمان ذللوا الصعاب وأجتازوا العقبات، فتحققت طموحاتهم؛ لأنهم لم يستسلموا ومضوا محققين نصراً ثقافياً فتح أعيننا على معطياتٍ فعالةٍ، عندما ألتزموا بمنطلقاتٍ أساسيةٍ، مؤكدين أن النهضة الحقيقية لاسبيل لتحقيقها مالم تتحدد ملامحنا فيها؛ لأن فيها البعث لفكرٍ أصيلٍ لايذله التقليد أو يهزه التيار الدخيل، وأن الأخذ من غير وعيٍ سيقلل من شأننا، ويحجم عطاءنا، وأن الإنسان أولًا (إبن بيئته)، فمنها يتشكل دون رضوخٍ قد يسلبه التكيف، والإستسلام للتحديات.

من هؤلاء كان (عبد الوهاب آشي)، وهو ليس بحاجةٍ لتعريفٍ، فقد عرفته المحافل الأدبية ناثراً مشرق الأسلوب، صائب الفكرة، وشاعراً خلاقاً تحفل قصائده بالخيال الجميل والعاطفة الصادقة، ولطالما صال وجال في بلاط صاحبة الجلالة، والكثيرون عرفوه مسؤولًا إنساناً، ولايخفي متتبع الحركة الأدبية قبل خمسين عاماً أن الآشي كتب مقدمة أهم وأجرأ كتابٍ لأديب سعودي هو كتاب (خواطر مصرحة) للمرحوم محمد حسن عواد الذي عبر بصدقٍ من أعماقه ودفق شعوره، واستمع إلى مايصيح بداخله في أن يعمل شيئاً لبلده وصالح أمته[3].

(١) عبد القدوس الأنصاري، بين العلم والأدب، أم القرى، العدد ٨٤٦، السنة الرابعة، ١٤ من المحرم سنة ١٣٦١هـ = ١٦ فبراير ١٩٤١م،

(٢) محمد حسن عواد، خواطر مصرحة، ص ٩٢.

(٣) العواد في آخر حديثٍ عن حياته، جريدة المولية، العدد ٤٨٨٥، ٢جمادي الآخرة سنة ١٤٠٠ هـ = ٧ إبريل سنة ١٩٨٠، ص ١٢.

كما أنه لايغيب عن كل أديبٍ دور الآشي الفعال في عالم الصحافة حين تولى رئاسة تحرير (صوت الحجاز)، جاعلًا منها منبراً حراً تحول للحدة في تناول الموضوعات، فشعر بأن ذلك يخالف الأهداف المطلوبة لخدمة الأدب، فما كان منه رغم سني شبابه الدافقة بالعطاء والتصدي إلا أن أستمع لصوت العقل والتزم الهدوء حتى لاتضيع الأعمال الأدبية في ضبابيه تبعدها عن النفاذ إلى الأغوار، التي أستهدفها في إفتتاحيته لعددها الأول حين قال(١): (أُنشئت هذه الجريدة لتكون رابطة أدبية بيننا نحن أبناء هذه البلاد، توحد بين أفكارنا وميولنا وثقافتنا)، ولكنها عندما تحولت إلى ساحةٍ أدبيةٍ ثار عليها جدل عابث، فأمسك كتابها بعضهم بخناق بعض، فنشب بينهم صراع بعيد عن الموضوعية والأهداف النبيلة، لم يتوان فقال منبهًا ومحذراً: (كأنهم يريدون القضاء على تلك الروح الأدبية في مهدها قبل أن تتخطى إلى بعض مناحي التقدم(٢)).

وإذا كان الأستاذ الآشي قد احتد في أحيان قليلة؛ فذلك من منطلق غيرته على وطنه، وحبه للثقافة؛ ولأنه كان شاباً والشباب لايخلو من حده، فالأحوال قد تغيرت، والمجالات غدت أكثر رحابةً، وصارت الأبواب مشرعة، ولابد أنه أدرك الفرق بين ماضٍ كانت ظروفه تحتم إتخاذ إجراءآتٍ بحكم طفولة ثقافتنا، زالت بزوال المعوقات، فكتب ماكتب حرصاً على الأمانة العلمية، وتوضيحاً لمرحلةٍ من مراحل

---

(١) صدر في ٤ /٤ ١٩٣٤م، ص ١.

(٢) كلمة صريحة حول نهضتنا الأدبية، العدد ١٥،٩٦ /١١ /١٣٥٧هـ = ١٩ ــ ٢ ــ ١٩٣٤، ص٣.

حياته الفكرية، التي أكسبتها السنون نضجاً وعمقاً وبعد نظرٍ. إننا إذ نسجل شكرنا للأستاذ الآشي على تجاوبه، فلا يسعني إلا أن نعترف بجميله من خلال أسواه للأدب في بلادنا؛ لأن نشاطه الأدبي كان متميزاً، أسهم إلى حدٍ كبيرٍ بظهور نهضةٍ أدبية، ولازال رائداً من الرواد الذين أنعشوا حياتنا الثقافية المعاصرة، ومهدوا السبيل لظهور أجيال تأهلت بالإختصاص في فترات لاحقة، فكان نتاجهم مجالًا ثراً لموضوعات أستحقت دراساتٍ جادةً، ساهمت إلى حدٍ كبيرٍ في تطوير مفهوم أجيال من الأدباء السعوديين.

عبد الله الشهيل

مدير إدارة الثقافة بالجمعية